الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

كلية العلوم الاسلامية

جامعة الحاج لخضر_ باتنة _

قسم: أصول الدين

محاضرات :

العقيدة لطلبة السنة الثالثة : تخصص عقيدة

(الإنسان في القرآن الكريم)

الأستاذة : حجيبة شيدخ

السنة الجامعية 2019_2020

يعتبر الإنسان من أهم محاور القرآن الكريم ،لأنه مناط التكليف وهو المقصود بالوحي ، وإذا تساءلنا عن ادراج موضوع الإنسان ضمن مواضيع العقيدة وجدنا الاجابة من عدة اعتبارات ، فالعقيدة كما عرفناها اصطلاحا هي كل ما يعتقده الإنسان سواء كان صحيحا أو غير صحيح ، فالمعتقد هو الإنسان ، ثم إن كل ما يقوم به الإنسان في وظيفته الوجودية ينطلق من اعتقاده به ، كما أن الاقرار بشهادة أن محمدا رسول الله يقتضي الايمان بمحتوى الرسالة ،والرسالة المقصد الأساس فيها هو الانسان ، فكل ما ورد فيها انما هو خطاب الهي موجه إليه ليأخذه بقوة ويجعله عقيدة يسير عليها في حياته .

في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين ، اهتم علماء المسلمين كثيرا بموضوع الإنسان في القران الكريم ، وذلك راجع الى غياب المعاني الحقيقية لمفهوم الانسان عن الواقع ووفود الفكر الغربي الملحد والمنحرف على المجتمعات الاسلامية مما أحدث خلطا في المفاهيم عندنا يوجب المراجعة إذ أصبحت النزعة المادية هي المسيطرة على العالم ، ثم غياب الشهود الحضاري للإنسان المسلم . فادى ذلك الى وقوعه فريسة للأفكار والاستهلاك الغربي .

اننا بالرجوع الى القرآن نجد صفات الإنسان الفعال في الحياة الذي ميزه الله _تبارك وتعالى _ عن سائر المخلوقات واصطفاه لوظيفة الخلافة ، نريد ان نأخذ مفهوم الانسان الحقيقي الذي يمكن أن يقودنا الى بر الأمان ، الإنسان الذي قال فيه الله تبارك وتعالى _: "اني جاعل في الارض الخليفة " وقال : "وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " وقال:" هو الذي خلق لكم

مـا فـي الارض جميعـا ".هـل اسـتفاد الانسـان المسـلم وهـو المكـرم بعقيـدة التوحيد من هذا الخطـاب ، وهل أدى ويؤدي وظيفتـه الوجوديـة كمـا ينبغـي ؟؟؟

لقد كتبت مجموعة من الكتب حاولت إعادة المفهوم الصحيح للإنسان الى أذهـان المسلمين ولعـل مـن أهمهـا كتـاب : "الانسـان والكـون فـي الإسـلام" لأبـي الوفـاء التفتزانـي ، و"الإنسـان فـي القرآن " للعقـاد ، و"القرآن وقضـايا الإنسـان " لعائشـة عبـد الرحمـان ، وكتـب الشـيخ الغزالـي التـي فـي عمومهـا دعـو صـارخة لتغييـر الانسـان إلـى الإيجابيـة ،و و"مبـدأ الإنسـان وقيمـة الإنسـان" لعبـد المجيـد النجـار"وهـي كتـب قيمـة يمكـن ان نعتمـدها فـي فهـم الوظيفة الوجودية للإنسان .

وحين أقرأ كتاب عائشة عبد الرحمان أقول ما اشبه اليوم بالبارحـة ، فقد تحدثث عن انتكاسات الانسانية والإنسان المسلم وتعرضـه للاستعمار فـي أغلـب بـلاد المسلمين.. مـن نكسـة فلسـطين الـى استعمار الجزائـر وغيرهمـا ...ما أشبه اليوم بالبارحة وبلاد المسلمين مازالت تعاني ويلات الاستعمار ، ففلسـطين تكالـب عليهـا الأعـداء والأصـدقاء مـن الـدول العربيـة الخائنـة ، والعراق وليبيا دمرا بطغيان أمريكا المتعجرفة ،وجميـع بـلاد المسلمين تولت الـى الوراء بسبب ما أطلقوا عليه بالربيع العربي والذي كانت نتائجه وخيمة على أغلب بلاد المسلمين من حروب وتشريد ودمار كسوريا ومصر واليمن الـذي يـرزح تحـت الفقـر والـدمار سـبب حـرب لا يـدرك المعنـى الحقيقـي لأسبابها ولا طائل منها إلا تسويق أسلحة الدمار وابتزاز ثروات المسلمين .

مـا أشبه اليوم بالبارحـة والإنسان لازال يتجبر ويطغـى ، ونحـن نـرى هذه الأيـام فـي عـز أزمـة كورونـا لازالـت أمريكـا تفرض سياسـة البقـاء للأقـوى ، وتحاصـر دولا بكـل أنـواع الحصـار كـإيران وفنـزويلا والـيمن ، تحاصـرها

اقتصاديا وطبيا وتتسبب في وفاة الالاف من الناس ، وتستمر إسرائيل في قهرها للفلسطينيين ونحن نسمع صيحات النساء والرجال في السجون يستنجدون ولا مجيب وفي عز الأزمة تكثف هجماتها عل سوريا (هجمات حمص). ويتعرض الدعاة والمفكرون للسجن في الدول الاسلامية كمصر والبحرين والسعودية وجميع بلاد المسلمين ويحكم على بعضهم بالإعدام والآخر بالموت البطيء . قتل الإنسان ما أظلمه وما أكفره من أي دين أتى بهذه الشريعة ؟؟؟ة

لقد تبنى العالم الحديث عن حقوق الانسان ، لكنه باسم هذه الحقوق يدمر الكرامة الانسانية وينتهك حرمة النفس البشرية ، بما سنه من قوانين ومؤتمرات تدعو إلى الاباحية والجندر والقضاء على البناء الأسري ، وهذا تدمير للإنسان ...

سنتناول مجموعة من العناوين :

_مفهوم الانسان في اللغة والاصطلاح

_الإنسان بين الماهية والوجود

_قيمة الإنسان

_ الخلافة

الإنسان في اللغة والاصطلاح

لغة :

تحمل لفظة الإنسان دلالات كثيرة هي :

الأَنَسُ :خلاف الوَحْشَةِ، وهو مصدر قولك أَنِسْتُ به، بالكسر، أَنَساً وأَنَسَةً والأُنْسُ والاستئناس هو التَّأَنُّسُ، وقد أَنِسْتُ بفلان

والإِنْسِيُّ :منسوب إِلى الإِنْس، كقولك جَنِّيٌّ وجِنٌّ وسِنْدِيٌّ وسِنْدٌ، والجمع أَناسِيُّ كَكُرْسِيّ وكَراسِيّ، وقيل :أَناسِيُّ جمع إِنسان

والإِنسانُ أَيضاً :إِنسان العين،وجمعه أَناسِيُّ.

وإِنسانُ العين: المِثال الذي يرى في السَّواد

واسْتَأْنَسَتْ وآنَسَتْ بمعنى أَبصرت،

والإِيناسُ :خلاف الإِيحاش، وكذلك التَّأْنيس.

والأَنَسُ والأُنْسُ والإِنْسُ الطمأْنينة،

وقد أَنِسَ به وأَنَسَ يأْنَسُ ويأْنِسُ وأَنُسَ أُنْساً وأَنَسَةً وتَأَنَّسَ واسْتَأْنَسَ

وآنَسْتُ الصوتَ: سمعته .

اسْتَأْنَسْتُ :اسْتَعْلَمْتُ؛

وتستأْنسوا هو الاستئذان، وقيل :تستأْنسوا تَنَحْنَحُوا[1].

– اسْتأْنَسَ الوَحْشِيُّ: أَحَسَّ إِنْسِياً،

– اسْتأْنَسَ الرجُلُ: اسْتَأْذَنَ، وَتَبَصَّرَ.

.مُتَأَنِّسُ :الأَسَدُ، أو الذي يُحِسُّ الفَرِيسَةَ من بُعْدٍ [2].

ويقال للمرأة أيضا إنْسانٌ ولا يقال أنسانة وجمعه أَنَاسِيُّ أيضا وتصغير إنسان أُنَيْسَانٌ قال بن عباس رضي الله عنه إنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي[1]

اصطلاحا :تنوعت تعريفات العلماء للإنسان ، وكان كل ينطلق من تخصصه والزاوية التي كان يبحث فيها فعرفه المناطقة بالحيوان الناطق ،والاجتماعيون وصفوه بالاجتماعي .والاقتصاديون وصفوه بالمقتصد والهزليون الضاحكون وصفوه بالضاحك ، والذين غلبوا الروح على الجسد قالوا إنه الروح، وما الجسد إلا آلته والذين لا يرون فيه سوى جانبه المادي قالوا إنه البدن المرئي دون غيره ،

وأورد الأشعري اختلافات العلماء في تحديد مفهوم الانسان :

قول أبي الهذيل: الإنسان هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان ورجلان.

قول النظام: الإنسان هو الروح.

قول بشر بن المعتمر: الإنسان جسد وروح.

و من أحسن التعريفات التي عرف بها الإنسان والتي تعتبر جامعة لكل خصائص الانسان تعريف الراغب الأصفهاني من القدماء وتعريف عائشة عبد الرحمان من المحدثين .

1_ تعريف الأصفهاني : ولما كان الإنسان جزئين؛ بدن محسوس و روح معقول كما نبه الله تعالى عليه بقوله (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) كان له بحسب كل واحد من الجزئين صورة، فصورته المحسوسة البدنية انتصاب القامة وعرض الظفر وتعري البشرة عن الشعر والضحك. وصورته المعقولة

الروحانية العقل والفكر والروية والنطق. قالوا فالإنسان هو الحيوان الناطق، ولم يعنوا بالناطق اللفظ المعبر به فقط، بل عنوا به المعاني المختصة بالإنسان فعبروا عن كل ذلك بالنطق، فقد يعبر عن جملة الشيء بأخص ما فيه أو بأشرفه أو بأوله، كقولك سورة الرحمن أو سورة يونس" [1]

وترى عائشة عبد الرحمان أن مفهوم الانسانية :

ارتقاء إلى الدرجة التي تؤهل الإنسان للخلافة في الأرض واحتمال تبعات التكليف وأمانة الإنسان ، لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييزمع ما يلابس ذلك من تعرض للابتلاء بالخير والشر ، وفتنة الغرور بما يحس من قوته وطاقته وما يزدهيه من الشعور بقدره ، ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور ومراتب الكائنات .. ويأخذ البيان من حيث وضعه القرآن ، مكانته الأصيلة في إتسانية الانسان ..." [2].

ووردت في القرآن مصطلحات أخرى : البشر والناس والإنس شاع الاعتقاد أنها تحمل المعاني نفسها لكنها في الحقيقة مختلفة .

تذهب عائشة عبد الرحمن إلى أن هذه المرادفات لا تدل على معنى واحد، فالبشرية دلالة على هذه الآدمية المادية التي تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، وهي المشترك بين بني آدم جميعا على وجه المماثلة، و(الإنسان) عندها غير(الناس)، لأن الناس اسم جنس لهذه السلالة الآدمية. وغير(الإنس) وإن كان بينهما ملحظ مشترك من الأصل اللغوي (أنس) في دلالتها على نقيض التوحش، لأن إنسانية الإنسان ليست مناطة بكونه منتميا إلى فصيلة الإنس وإنما في خلافته في الأرض وفي حمله الأمانة العظيمة[3].

الإنسان بين الماهية والوجود .

الوجود :نظرا لوضوحه قال العلماء بأنه لا يحتاج إلى تعريف ، وقد قسم العلماء الوجود إلى وجودين: واجب الوجود وهو الله _تبارك وتعالى _ وممكن الوجود وهو المخلوقات الأخرى التي أوجدها الله _تبارك وتعالى _ والتي استمدت وجودها منه _عز وجل_ "وهذان الطرفان في ثنائية الوجود طرفان متباعدان في الحقيقة الذاتية حيث يتصف الله تعالى بالكمال المطلق ، ولا يستطيع العقل البشري أن يعلم من كنه حقيقته شيئا ، وقصارى ما يدرك منه ثبوت صفات الكمال له ، في حين يتصف العالم بصفات النقص والدون إزاءه ، وهو ذو طبيعة معقولة ، في إمكان العقل البشري إدراكها وتحصيل حقيقتها "[1] .

وعلى مستوى الوجود الممكن توجد ثنائية أخرى وهي الوجود الإنساني وغيره من الموجودات ، على هذا المستوى يعتبر الإنسان ارقى الموجودات والوجود الثاني : الكون أو الطبيعة ، إنما أوجده الله _تبارك وتعالى _ من أجله وهيأه على صورة تجعله ذلولا له ، كما هيأ الانسان على المستوى الذاتي على صورة معنوية ومادية تجعله قادرا على ممارسة التسخير الجيد للكون .

أما الماهية فهي الخصائص التي تجعل الشيء هوهو ،وقد ناقش علماء المسلمين مسألة الأسبقية بين الوجود والماهية ، وذهبوا إلى أن الأسبقية الزمنية لماهية الكائن الإنساني ذات دلالة مزدوجة حسب القرآن الكريم:

-**الأولى : الأسبقية بمعنى قيام الماهية في العلم الإلهي**.

فيلاحظ في النص القرآني أن فعل الخلق الإلهي يقترن دائما بالعلم: (يخلق ما يشاء و هو العليم القدير) الروم / 54، (و خلق كل شيء و هو

بكل شيء عليم) الأنعام / 101، (فسواهن سبع سماوات و هو بكل شيء عليم) البقرة / 29.

فهذا الاقتران يفيد إذا أن ثمة علما مسبقا بما سيخلق قبل وجوده، أي أن ماهية المخلوق موجودة في العلم الإلهي قبل إيجاد المخلوق.والقرآن الكريم تحدث عن ماهية الانسان بصورة خاصة ، وسماه باسم الوظيفة التي سيؤديها في الكون بناء على علمه سبحانه بماهيته ، يقول _ تبارك وتعالى _**(وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) البقرة / 30**

_ و الثانية : وجود الماهية في الواقع على هيئة روحية .

وقد حددت الماهية الإنسانية من قبل العلماء إلى جانب الخصائص الروحية : العقل والحرية و...بعنصر أساسي هو عقيدة التوحيد والتي تؤكدها نصوص القرآن والسنة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف/ 172 وقوله _ عزوجل : (ف**أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم /30**

وقوله : عز وجل :(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)[1]

ومن الحديث النبوي الشريف قوله _ صلى الله عليه وسلم _" يولد المولود على الفطرة "

والواقع يثبت ان كثيرا من الناس قد تتعطل ماهيتهم فيحيون كالأنعم أو أضل سبيلا إذ يتحقق وجودهم وتتعطل ماهيتهم عن الخروج من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل .

وتذهب الفلسفة الوجودية الى ان وجود الانسان يسبق ماهيته ، والإنسان هو الذي يحدد هذه الماهية. "إن الهدف من تقديمهم الوجود على الماهية، هو أنه لو قدمت ماهية الإنسان على وجوده؛ لأصبح وجوده موجها نحو غاية معينة ، ولأصبح تقدم ماهية الإنسان على وجوده بمثابة .قوة موجهة لوجوده، وهذا ما يرفضه الوجوديون؛ حتى لا يكون لوجود الإنسان غاية وهدف "[1]

الانسان بين الرؤية الدينية والرؤية المادية :

تؤمن الرؤية الدينية بأن هذا الوجود مقصود من قبل قاصد حكيم أوجده لغاية ، والإنسان هو المكلف في هذا الكون بآداء هذه الغاية وفق قوانين وضعتها الأديان السماوية .

أما الرؤية المادية في تنظر إلى أن هذا الكون وجد عبثا ، ولا إله والحياة مادة ، والإنسان هو الذي يوجد القوانين التي يضبط بها حياته .فحل بذلك الأنسان محل الإله وهذا كانت له نتائج وخيمة على الحياة البشرية .

خلق الإنسان في القرآن الكريم :

تفيد نصوص القرآن الكريم أن الله _تبارك وتعالى _ قد خلق آدم على صورته الإنسانية ، من عناصر الماء والتراب ورد ذلك في نصوص منها :

قوله عزوجل _:(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)آل عمران /59، فأفاد هذا النص أن آدم خلق من تراب عبر مراحل أكدتها نصوص أخرى وهي :

مرحلة الطين :وهو نتيجة امتزاج التراب مع الماء ، ورد ذلك في قوله _تبارك وتعالى _ (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) السجدة /7

وفي قوله _ تبارك وتعالى :(فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) الصافات:11

مرحلة الحمإ المسنون : ترك الله سبحانه وتعالى الطين بعد أن مزجه من عنصريه إلى أن صار حمأً مسنوناً، أي أنه بعد مزج عنصري التراب والماء صار المزيج طيناً لازباً صادقاً، ثمّ بعد ذلك صار هذا الطين حمأ أسوداً مسنوناً مصوراً، حيث قال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) [الحجر: 26]، علماً أنّ الحمأ هو الطين الأسود المتغيّر، أما المسنون فإن المفسرين اختلفوا في تعريفه، فقيل أنه هو المصوّر من سنة الوجه وهي صورته، وقيل إنّه المصبوب المفرّغ، أي أن الله أفرغ صورة الإنسان كما تفرغ الصور من الجوهر في أمثلتها، وقيل إنّه المنتن، أو المسنون الأملس.

مرحلـة الصلصـال :صـار الطـين حمـأً مسـنوناً فـي صـورة آدم، ثـمّ صـار صلصالاً كالفخار، حيث قال سبحانه وتعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) الرحمن:14، والصلصال هو الطين اليابس الذي يظلُ يابساً إن لم تمسسه النّار، ويتحوّل إلى فخار إن مسته نار، ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الصلصال يشبه الفخار إلا أنه ليس فخاراً، أي أن الله سبحانه وتعالى لما مزج عنصري الماء والتراب صار طيناً، ولما أنتن الطين صار حمأً مسنوناً مصوّراً على هيئته، ولما يبس صار صلصالاً، إلا أن الإنسان لم تبدأ فيه الحياة عند هذه المرحلة، علماً أنّ الله سبحانه وتعالى لم يحدد في القرآن الكريم المدة الزمنية الممتدة بين مرحلة الطين، والحمأ المسنون، والصلصال.

مرحلة نفخ الروح : سوّى الله سبحانه وتعالى الإنسان، وصوّره، ثمّ صار صلصالاً أي أنه أيبس الطين بعد تصويره، ثمّ دبّ الروح في جسده، حيث قال: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [ص: 1-72]، وأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة قبل خلق آدم أن يسجدوا له بعد أن تدب الروح في جسده .

نظرية داروين في أصل الإنسان'(1731_1802):

درس داروين ومن جاء بعده من الذين تبنوا آراءه ونقحوها ، أنواع الأحياء ، معتمدين على ما جمعوه من الحفريات ودفائن القرون الأولى في الصخور والكهوف ...وانتهوا إلى تفسيرات احتمالية تخمينية :

1_ وجود تشابه في خطة بناء الأجسام ،و في سلوك الكائن الحي .

2_ وجود بعض الزوائد في بعض الأجسام ، كالزائدة الدودية عند الانسان ، دون أن يكون لها وظيفة في جسم الإنسان كما بدا لهم ،وكاستطالة سلسلة الظهر السفلي عند بعض الناس استطالة تشبه بقايا ذيل تقاصر ، فهو كما يرون في طريقه إلى الزوال .

3_تأخر وجود بعض أنواع الأحياء على سطح الأرض عن بعض .[1]

من هذه المعلومات استنتجوا أن الكائنات الحية تطورت تطورا ذاتيا تصاعديا ، من أدنى الكائنات الحية حتى الإنسان الذي هو أعلاها كمالا .وكانت" الأميبا " هي أدنى الكائنات الحية في التصور ، ثم جاء التصحيح إلى " الباكتيريا " التي هي أدنى من "الأميبا "بعد اكتشافها ، ثم جاء التصحيح إلى "الفيروس " الذي هو أدنى من الباكتيريا بعد اكتشافه .[2]

وبقيت هذه الاستنتاجات مجرد احتمالات تتغير بتغير نتائج العلم "على أن التطور لوثبت علميا بشواهد من الواقع في الطبيعة ، فإنه لا يفيد أن التطور حدث ذاتيا ، بل النظرة الايمانية القائمة على ملاحظة الحكمة في الخلق تقدم البرهان على أن خطة الخالق قد رتبت عمليات الخلق وفق سنة التطور ، كما رتبت عملية خلق الإنسان وفق أطواره حتى يكون نطفة ،فجنينا ، فطفلا فيافعا ، فبالغا أشده ، فما وراء ذلك من أطوار ."[3]

إ ن النصـوص القرآنيـة تؤكـد أن عمليـة خلـق الإنسـان تبقـى مـن خصـائص الـذات الالهيـة ، "مـا أشـهدتهم خلـق السـموات والأرض ولا خلـق أنفسهم "

والحياة ليست نتاج المادة بل المادة وعاء لها ، إذ خلق الله جسم آدم من الطين ونفخ فيه من روحه ، فصار إنسانا حيا ، بعدما كان مادة ميتة .ثم حدثنا القرآن عن الخلق على مستوى أبناء آدم ، وهو أمر مشاهد (مراحل تطور الجنين) الذي يحدث بقانون التزواج ، وقد تخترق هذه القوانين كما حدث مع آدم وعيسى عليهما السلام .

قيمة الإنسان في العقيدة الإسلامية

يستمد الإنسان في العقيدة الإسلامية قيمته من الوظيفة التي وجد من أجلها و كل ما يتعلق بخلقه من إعداد الكون لأجله وتوظيفه لخدمته وتزويده بمختلف مظاهر التكريم التي خصه بها الله عز وجل ولكي نفهم هاه القيمة جيدا لابد أن نقف عند التكريم الاي خصه به الله عز وجل الا تدور حوله آيات كثيرة من الاكر الحكيم :المعنى اللغوي والاصطلاحي للتكريم.

أ-المعنى اللغوي :

التكريم والكرامة : من مشتقات الكرم ،والكَرَم: ضدُّ اللُّؤْم، كرُم كرامة وكَرَمًا وكَرَمة، فهو كريم وكريمة، وكرماء وكرام وكرائم، وكرم فلان: أعطى بسهولة وجاد، والكريم الصفوح.[1]

والكريم: من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق.

والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والكريم اسم جامع لكل ما يحمد فالله _عز ورجل_ كريم حميد الفعال. و كرائم الأموال أي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ، ويختصها لها ،حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقها ، وواحدتها كريمة أي العزيزة على صاحبها والكرم : القلادة من الذهب والفضة .[2]

وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم .والإكرام والتكريم: أن يوصل إلى الإنسان إكرام أي نفع لا تلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئا كريما أي شريفا .[1]

ب _ المعنى الاصطلاحي:

أغلب التعريفات التي وضعها العلماء للتكريم اتجهت إلى الحديث عن مظاهره مباشرة، وسنذكر هنا بعض التعريفات التي جمعت بين تحديد مفهومه _ وإن كان مختصرا _ ومظاهره، ومنها:

_ تعريف القرطبي : "كرمنا تضعيف كرم، أي جعلنا لهم كرما أي شرفا وفضلا. وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال .وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمل بإرادته وقصده وتدبيره . وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس، وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم ، لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ، ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة . وغاية كل حيوان يأكل لحما نيئا أو طعاما غير مركب".[2]

_ تعريف ابن عاشور : "والتكريم : جعله كريما ، أي نفيسا غير مبذول ولا ذليل في صورته ، ولا في حركة مشيه وفي بشرته ، فإن جميع الحيوان لا يعرف النظافة ، ولا اللباس ، ولا ترفيه المضجع ، والمأكل ، ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب ، ولا الاستعداد لما ينفعه ، ودفع ما يضره ، ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها والقبائح فيسترها

ويـدفعها ، بلـه الخلـو عـن المعـارف والصـنائع ، وعـن قبـول التطـور فـي أساليب حياته وحضارته .."[1].

_ تعريف عبد المجيد النجار: " التكريم هو الإعلاء والإعزاز، وهو شامل للإنسان بمطلق الإنسانية فيه . غير متعلق بعوارضها مهما كان نوعها "[2].

_ تعريف طه عبد الرحمان: "القيمة التي تجعل من الخلق الآدمي آية دالة على الفطرة لا مجرد ظاهرة متمتعة بالحياة و الفطرة هي أكمل الاستعدادات القيمية التي يمكن أن يخلق بها الكائن الحي "[3]. وهذا التعريف فيه احتراز من التعريفات المادية للإنسان.

و التكريم يحمل معاني : العزة والمنعة .. والحصانة والحماية والرفعة والتقدير لهذا المخلوق .. الأمر الذي يعني صيانة حقوقه وكرامته وانسانيته .. فلا يجوز لأحد من الخلق أن يعتدي عليه أو أن يسبب له أذى ماديا كان أو معنويا ليقطع رحلة الحياة آمنا مطمئنا عزيزا كريما ...[4]

خصائص التكريم في الإسلام :

يتميز التكريم في الإسلام بربانية مصدره وشموله وثباته ومقاصديته :

1_الأصالة والشمول والثبات :

إن هذه الكرامة بدلالة النص القرآني هي منحة من الله لجميع البشر يقول تبارك وتعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)، ويقول: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)، ويقول: (يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر

وأنثى)، فالتعبير ب: "بني آدم والإنسان والناس " في الآيات يفيد معنى التكريم لعموم البشر بدون تحديد لدينهم أو جنسهم أو زمان أو مكان وجودهم ، وليس من حق أي كان نزعها منه لأنها جوهر إنسانيته وهذا الذي يميز التكريم الإلهي عن مفهوم الحق ، وفي ذلك يقول طه عبد الرحمان : "إن الكرم يحمل معنى إيمانيا عميقا لا يحمله الحق، ذلك أنه كسبا ينسبه المكرم إلى نفسه، بحيث يملك أن يتنازل عنه كما يفعل صاحب الحق عندما يكره على الانتشار التسليعي أو على العكس . يرضى به ، وإنما هو عطاء أو بالأحرى فيض موصول بالتكريم الالهي الأصلي ، إذ الخالق _سبحانه _ هو الذي كرم الإنسان في عالم الغيب ، وسخر له كل شيء في عالم الشهادة بحيث يكون تكريم الانسان لأخيه الإنسان من تكريم الله له في عالم الروح ..."[1]

والشمول يعني شمول جميع البشر(كرامة كونية) ويعني الامتداد في الماضي ،وهو وجود الإنسان في عالم الذر حين تكلم الله عنه في قوله: و(إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)[2] إذ حددت ماهية الإنسان بأنه سيكون خليفة ، وامتداد هذا التكريم في حياة الإنسان من نفخ الروح فيه إلى استقراره في الحياة الدنيا بكل مراحلها، وامتداد هذه الكرامة بعد موته ،من إكرام الميت بتغسيله والصلاة عليه والدعاء له ودفنه وعدم التنكيل بجثته مهما كانت الأسباب والظروف ،

ويمتد الشمول إلى الحياة الآخرة حين يتحقق أفضل تكريم وهو الخلود في الجنة بعدما يحاسب كل على عمله ويتأكد للجميع نفي العبثية عن الحياة الدنيا . وهي ثابتة لا يحق لأي كان نزعها والاعتداء عليها ، ولذلك أكد القرآن أن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا، لقيمتها وما يترتب عن ذلك من فساد في الأرض يقول_ تبارك وتعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)، ويقول _تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ). فالنهي الوارد في الآيتين نهي عن قتل أي نفس مهما كانت تلك النفس مسلمة أم غير مسلمة . ومهما كان جنسها وموطنها وزمانها. وإن هذه الكرامة يستحقها الإنسان لأنه إنسان ، لا لأنه أبيض أو حضري أو متعلم أو متقدم ،فهي حق لكل الألوان وحق لكل الأجناس ولكل الناس حضرهم وبدوهم متقدمهم ومتخلفهم، وعلى القادر أن يعين الضعيف وعلى المتعلم أن يعلم الجاهل وعلى المتقدم أن يأخذ في قافلته المتخلف .[1]

2_المقاصدية :

هذه الكرامة مرتبطة بالوظيفة الوجودية للإنسان ، إذ أن كل مظاهر التكريم الإلهي للإنسان إنما أهداها له الله _ تبارك وتعالى _ لتحقيق عمارة الأرض وعبادته سبحانه ، وهي مظاهر متكاملة القصد منها تمكين الخلافة في الأرض ."هذا التفضيل وهذا التأهيل لم يأتيا عفويا ، وإنما مقصودان لذاتهما ، لأن الله يعلم أن الإنسان إذا أدى ما عليه من مهام الاستخلاف ، فسيواجه كثيرا من المعضلات والمشكلات والتحديات التي يحتاج في مواجهتها إلى استفسار قوى النفس والحس والعقل وكل مقومات التفضيل ،

يفكر ويتأمل ، ويبحث ويدرس ويقدر ، ويفرز ويفاضل ويختار ، وصولا إلى أفضل الأساليب والوسائل التي تحقق قوامة الحياة "[1].

ومن جهة التشريع تمثل الكرامة محورا أساسيا لجملة من التشريعات والقيم، وأحد مقاصد الشريعة الغراء، وهي معيار فاصل ومناط وجود وعدم لكثير من الأحكام والأخلاق الإسلامية. فالكرامة إما أن تكون منشئاً لحق، أو هدفاً لتشريع، أو غاية لخلق، أو مناطا لحكم، وبذا تحتل قصب السبق في علل الأحكام والتشريعات، بل يمكن القول أن منظومة الأحكام الشرعية في مجملها، تهدف إلى الحفاظ على هذا التشريف الإلهي المعنون بالكرامة، ومراعاة لوازمه من الواجبات والحقوق المستحقة للإنسان[2].

أنواع التكريم وتجلياته

لم يقسم القدماء التكريم الذي ورد في القرآن الكريم إلى أنواع وإنما كانوا يتحدثون مباشرة عن تجلياته والتي حفل بها القرآن الكريم ، لكن المحدثون قسموا الكرامة إلى أنواع ، وتحت هذه الأنواع تحدثوا عن التجليات:

أ / أنواع التكريم:

قسم طه عبد الرحمان التكريم أو الكرامة إلى ثلاثة أنواع :

الكرامة التقديرية : وهي القيمة التي يورثها للخلق الآدمي قضاء الله بأن يكون وجوده وسلوكه على مقادير مخصوصة.

الكرامة التكليفية : وهي القيمة التي يورثها للآدمي انفراده بحمل الأمانة التي عرضها الخالق على جميع المخلوقات .ويستدل عليها بقوله

تعالى:(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)[1]

والكرامة التفضيلية : وهي القيمة التي يورثها للآدمي اجتهاده في التقرب إلى الذي خلقه وائتمنه على مخلوقاته ممتحنا له [2]. ويستدل عليها بقوله _تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعرفوا ان اكرمكم عن الله اتقاكم).[3]

وبرغم الاختلاف في المسميات يتفق طه عبد الرحمان مع فهمي هويدي في المعاني و والأنواع ، إذ يرى أنها كرامة مثلثة: كرامة هي عصمة وحماية يستغلها الإنسان من طبيعته (ولقد كرمنا بني آدم)[4]، وكرامة هي عزة وسيادة تتغذى من عقيدته (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)[5] وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته،6 واستدل عليها بقوله _ تعالى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) '(وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ)

وذهب حامد محمد عمران إلى أن التكريم نوعان تكريم ذاتي وتكريم مكتسب ،والأحسن أن يقال:تكريم أصلي وتكريم مكتسب .[7] النوع الأول يتحقق عند جميع البشر بالمساواة أما الثاني والثالث فيتحققان عند جميع أهل الأديان قبل تعرضها للتحريف على أساس أن الإسلام دين جميع

الأنبياء، وفيهما يتنافس المتنافسون ويحدث الارتقاء والتفاضل، إذ على قدر الالتزام بالعمل تكون القيمة عند الله ،والتفاوت في التكريم في النوعين يكون على أساس معايير متاحة لجميع البشر بحكم عالمية الإسلام وليس على أساس العنصرية، فأكرم الناس عند الله أتقاهم ،ولم يحتكر الإسلام النجاة لأبناء شريعة دون الشرائع الأخرى التي جاءت بها الرسالات السماوية في إطار الدين الإلهي الواحد وإنما أكد أن (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه) [1] وأشار إلى أن من آمنوا بوحدانية الذات الإلهية وبالغيب واليوم الآخر والحساب والجزاء ، وعملوا صالحا في حياتهم الدنيا وفق أي شريعة من الشرائع الالهية الحقة ، لا يمكن أن يسووا بالذين جحدوا الحق بعد أن عرفوه ، فكفروا بالألوهية وتنكبوا كل شرائع السماء: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

ب: تجليات التكريم : وتشمل مايلي :

-شرفية الخلق والمغايرة لسائر المخلوقات:

احتفى القرآن الكريم بخلق الإنسان احتفاء خاصا يعبر عن قيمته، فالصورة التي خلقه عليها والتي جمعت بين الطين والروح تسهل عملية أداء الوظيفة التي وجد من أجلها واستثمار التسخير الذي ميز به ، ولعل مظاهر التكريم في قصة الخلق تتجلى في نسبة الخلق إلى الذات الإلهية مباشرة ، وقد ذكر الله _ سبحانه _ ذلك في قوله:(وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ{71} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ{72} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ{73} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ

مِـنْ الْكَـافِرِينَ{74} قَـالَ يَـا إِبْلِـيسُ مَـا مَنَعَـكَ أَن تَسْـجُدَ لِمَـا خَلَقْـتُ بِيَـدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)[1]

فأفادت الآيات القرآنية خلق الله لآدم بيديه ، والنفخ فيه من روحه بعد تسويته وهو خلق مميز، وعن هذا الخلق المميز يقول سيد قطب : " ولقد كان خلق الإنسان من عناصر هذا الطين اللزج المتحول إلى صلصال، ثم من النفخة العلوية التي فرقت بينه وبين سائر الأحياء ومنحته خصائصه الإنسانية، التي أفردته منذ نشأته عن كل الكائنات الحية، فسلك طريقا غير طريقها منذ الابتداء، بينما بقيت هي في مستواها الحيواني لا تتعداه!... هذه النفخة التي تصله بالملإ الأعلى، وتجعله أهلا للاتصال بالله، وللتلقي عنه ولتجاوز النطاق المادي الذي تتعامل فيه العضلات والحواس، إلى النطاق التجريدي الذي تتعامل فيه القلوب والعقول. والتي تمنحه ذلك السر الخفي الذي يسرب به وراء الزمان والمكان، ووراء طاقة العضلات والحواس، إلى ألوان من المدركات وألوان من التصورات غير محدودة في بعض الأحيان...."[2]

وبكلام قيم يقول محمد الغزالي : "إن قدر الإنسان في نظر الإسلام رفيع ، والمكانة المنشودة له تجعله سيدا في الأرض وفي السماء ، ذلك أنه يحمل بين جنبيه نفخة من روح الله وقبسا من نوره الأقدس ، وهذا النسب (السماوي) هو الذي رشح الإنسان ليكون خليفة عن الله في أرضه ، وهو الذي جعل الملائكة ، بل صنوف المخلوقات الأخرى ، تعنو له وتعترف بتفوقه ".[3]

التكريم بالتقويم الحسن (استقامة الفطرة وحسن الهيئة):

من مظاهر تكريم الإنسان في العقيدة الإسلامية أن جميع البشر يولدون وهم يحملون عقيدة التوحيد وقد وردت في ذلك نصوص كثيره من القرآن والسنة ومنها قوله _تبارك وتعالى : **:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [1]

وقوله _عزوجل _ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]

وفسر هذا، حديث رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه أويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء »[3] ويقول _تبارك وتعالى _ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ .إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾.[4]

فالتقويم الحسن هو عقيدة الإيمان بالله _بخاصة_ والدليل على ذلك تكملة الآية: ﴿ **بم** بن بى بي ﴾ والذي يفيد "أن الإنسان أخذ بغير ما فطر عليه من التقويم وهو الإيمان بإله وأحد وما يقتضيه ذلك من تقواه ومراقبته فصارأسفل سافلين ، وهل أسفل ممن يعتقد إلهية الحجارة والحيوان الأبكم من بقر أو تماسيح أو ثعابين ، أو من شجر السمر ، أو من يحسب الزمان

إلها ويسميه الدهر ، أو من يجحد وجود الصانع وهو يشاهد مصنوعاته ويحس بوجود نفسه "[1].

تحرر المعرفة بالله الإنسان من الانتكاس في العبادة لغير الله فهو بمعرفته بالله يتعالى على جميع مظاهر الانحدار العقدي ويرتفع إلى أن يكون عبدا لله وحده وذلك يحرره ويزكيه. فيحافظ على كرامته في أن يكون عبدا لغير الله. والدعوة الى الإيمان بالله وعدم الاشراك به بأي نوع من أنواع الشرك ، هو السبيل الوحيد لتوفير كرامة الإنسان وتحقيق إنسانيته ومساواته بالآخرين ، فالتوحيد في نهاية المطاف يعني التحرير .. .[2]

ومن التقويم الحسن ،الهيئة التي وجد عليها الإنسان، من انتصاب القامة والقدرة على رصد المحيط الذي يعيش فيه، إذ لا يمكن تصور وجود هيئة أفضل منها وهي أنسب تقويم لأداء وظيفة الخلافة أأ ىٰ ير بز[3] التكريم بالعقل والحرية : إذ العقل وهو الذي يجعله أهلا لاكتساب المعارف وقادرا على تطوير حياته ، وعلى أساسه يستطيع التمييز بين الأضداد وحسن الاختيار الذي يستدل به على حريته التي هي أيضا منحة ربانية أخذها الإنسان حين تحمل أمانة التكليف التي ورد الحديث عنها في قوله _ تعـــــالى _ : أأ سد سذ سه صد صذ صم ضج ضد ضذ ضم[4] فاغلب المفسرين يرون أن الأمانة هنا هي تحمل المسؤولية وتبعاتها وهذا لا يتأتى إلا ممن يحمل قراراته بنفسه .

والحرية تشمل حرية العقيدة ،وحرية التعبير ... والقاعدة الأساسية في ذلك في الإسلام هي: "(لا إكراه في الدين) ، ويقول تعالى : (فذكر إنما انت مذكر لست عليهم مصيطر)، ويقول : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) و (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها)1.

ولكن هذه الحرية في ديننا منضبطة بضوابط تحرس كرامة الإنسان ، فلا تكون هذه الحرية فيها اعتداء على الآخرين بما يسن من قوانين تقمع جهة لحساب جهة أخرى ، أو تكون مضرة بالكرامة العامة للمجتمع البشري بالتصرفات المخلة بالحياء أو بشتم الأنبياء والرسل بدعوى حرية التعبير .

إن من مظاهر المهانة التي يمارسها الإنسان الحديث صور الاستعمار والتي تطورت بشكل غريب في زماننا هذا والتي تظهر بخاصة في العدوان الطويل الذي تمارسه الدول القوية على الدول الضعيفة كالذي تمارسه الصهيونية على حرية الفلسطينيين والتعنت في سجن أبنائهم الذين يقاومون دفاعا عن أرضهم وحريتهم المسلوبة . والحرية المخلة بالقيم والأخلاق والتي تنحدر بكرامة الإنسان أسفل سافلين فالكرامة الفطرية لا تقبل بما يحمل المفاسد للفرد ولا للمجتمع ولا تقبل ما يروج له باسم حقوق الإنسان مثل الشذوذ الجنسي ، و الزواج المثلي ، وبشرعية الأسرة الناتجة عنه ، وإجهاض الأجنة ، وتغيير النوع ...

التكريم بالشريعة : ونقصد بها القوانين التي أتى بها الإسلام والتي تربط الإنسان في علاقته بالله ، وفي علاقته بذاته وفي علاقته بالآخر ، والقوانين الأخلاقية التي أتى بها الإسلام كلها فيها إعلاء وتكريم للإنسان ،

وهذا تكريم أساسه تكريم الهداية بالوحي عن طريق إرسال الرسل، ومن مظاهر **التكريم بالشريعة:**

أولا : في علاقته بالله ، كل مظاهر العبادة التي جاء بها الإسلام فيها إثبات لعزة وكرامة الإنسان، وإعلاء لقيمته فالصلاة ترتفع بالإنسان الى أن يكون على علاقة دائمة بالله _تبارك وتعالى_ فيتخلص من جميع مظاهر الطاغوت: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أعظم) [1]، وفي ذلك إثبات لوجوده الحقيقي ، وفي الصيام ارتقاء روحي يتعالى به الإنسان عن جانبه المادي بالتقوى والمجاهدة: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) [2]، وفي الزكاة تأكيد للتعارف البشري وإثبات لعزة النفس البشرية وسموها أمام المغريات المادية يقول _تبارك وتعالى _(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم) [3]. وفي الحج رجوع إلى الفطرة والنقاء، وتخلص من شوائب الدنيا وعودة إلى الفطرة السليمة، إن في التكليف الإلهي للإنسان تكريما له يجعله في مسيرة الجهاد النفسي يرتقي إلى أعلى مستويات السمو، وفي التكاليف الشرعية بكل مستوياتها تأكيد وحماية للكرامة الانسانية ، إذ كل ما أتت به الشريعة إنما وجد لحماية مصلحة الإنسان ودفع المضرة عنه كالقوانين الخاصة بالأسرة والحدود وغيرها ...

إن العبادة حق لله – تبارك و تعالى – على عباده ، لكن توجه الإنسان بها إلى الله – عز و جل – في الإسلام توجه واع مبن على العقل (في غالب الأحيان) و في أداء هذا الحق تحقيق لكرامة الإنسان و إثبات

للهدف الأسمى من وجوده ، فكلما كان الإنسان عابدا لله – تبارك وتعالى – كلما اقترب من تحقيق إنسانيته الحقة .و كلما ترك العبادة انحط بها.يقول محمد المبارك : " إن المعرض عن عبادة الله معرض عن إنسانيته وهو مستبدل بعبادة الله معبودا آخر أقامه عمليا في مكانه من مال أو شهوة أو عصبية جماعية أو هوى سياسي أو غاية علمية أو غير ذلك من مشاغل الإنسان الطبيعية المشروعة أو غير المشروعة ، مما لا يجوز أن يجعل معبودا يعبد من دون الله فيشغل القلب و يستنفذ العاطفة و الفكر والعمل جميعا"[1].

و حين يجعل الإنسان هدفه في الحياة عبادة الله – عز و جل – فإنه بذلك يتخلص من جميع مظاهر الطاغوت " فلا عبادة إلا لله و لا استعانة إلا بالله ، وهنا كذلك مفرق طريق ... مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية و بين العبودية المطلقة للعبيد ! و هذه الكلية (إياك نعبد وإياك نستعين) تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل والتحرر من عبودية الأوهام و التحرر من النظم والتحرر من عبودية الأوضاع ، و إذا كان الله وحده هو الذي يعبد و الله وحده هو الذي يستعان فقد تخلص الضمير البشري من استذلال النظم و الأوضاع والأشخاص ، كما تخلص من استذلال الأساطير و الأوهام و الخرافات "[2].وتوخي عبادة الله – هدفا – في الحياة يجعل الإنسان يستشعر ضآلة

كل ما يصادفه من آفات لأنه يستمد قوة راقية من خالق كل شيء " إن جعل الله – تعالى – هدفا نهائيا يتجه إليه الإنسان في كل مناشطة (و هو معنى العبادة) لئن كان يشعر بضآلة النفس أمام هذا الهدف الأسمى فإنه يشعر أيضا بعظمة النفس في تجاوز كل الأهداف الجزئية في طريق الرحلة إلى الله ، فعظمة الهدف تشعر بعظمة النفس إزاء الموجودات المحيطة ، التي قد تعرقل المسيرة إلى ذلك الهدف أو تغوي ، بأن تكون هي نفسها أهدافا دون الهدف الأعلى ... فإذا كان الهدف المقصود هو الله كان استشعار الرفعة إزاء ما سواه من الموجودات على قدر سمو هذا الهدف ، و كان الاستعلاء على المعيقات المثبطة يستمد من بعد الهدف و عظمته ، فلا يكون مع ذلك مجالا لخضوع و مذلة لشهوة جامحة أو مظهر من مظاهر الطبيعة العاتية"[1].

لقد انتشلت العبادة في الإسلام الإنسان من أن يكون عبدا لمن لا يستحق ذلك و يهبط من قيمته الوجودية فخلصته من عبادة جميع مظاهر الطاغوت .

إن عبادة الله – تبارك و تعالى – تحقيق لارتقاء الإنسان في الحياة الدنيا،وضمان لسعادة الخلود في الحياة الآخرة ، فإذا كان بهذه العبادة يتسامى إلى ما يضفي عليه فيوضات من صفات الله – عز و جل – فإنه

في الحياة الآخرة ينال نعمة الخلود في الجنة و التي هي من أكبر مظاهر التكريم الإلهي للإنسان .

و قد عبر القرآن الكريم عن مستلزمات العبادة بالأمانة ، فقال : {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }[2].

فقد سمى التكاليف التي هي مجموع الأوامر و النواهي التي يتقرب بها إلى الله – عز وجل – بالأمانة ، لما بينها و بين الأمانة المادية من اشتراك ، فكلاهما يتحقق فيه معنى الاصطفاء و الإيداع و الجهاد و الجزاء وكلها معان تحقق بها عزة الإنسان .

يقول عبد المجيد النجار : " و إنما عبر عن التكليف بالأمانة لأن الأمانة هي الحفاظ على ما عهد به ، و رعيه و الحذار من الإخلال به سهوا أو تقصيرا أو عمدا ، و التكليف هو تحميل للأوامر و النواهي بطلب رعايتها و الحذار من الإخلال بها ، و ذلك بأدائها على وجهها الذي حملت به ، كما هو مطلوب في الأمانة أن يؤدى المعهود به فيها على وجهه كما هو ، فقد اشترك التكليف مع الأمانة في عناصر ثلاثة : الإيداع و المحافظة على المودع و أداؤه على وجهه..."[3].

و في هذه الثلاثة تتحقق رفعة الإنسان و سموه : ففيها اختيار له لتميزه ، وفيها إثبات لقوة إرادته بمغالبة الهوى .

و إذا كان الإنسان المؤتمن يجازى على الأمانة المادية ،إذا أداها غير منقوصة فينال الشكر و الامتنان فإنه بأدائه لأوامر الله و نواهيه ينال نعيم الخلود في الجنة يقول – تبارك و تعالى – : {وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

يقول عبد المجيد النجار : " إن هذا المعنى من الاكتمال و الترقي الذي يتأتى بالتكليف يتبدى فيه التكريم الإلهي للإنسان بما يعلي من شأنه ، و يرفع من قيمته : ففيه إناطة لمصير الإنسان بيده ، عبر الجهاد ، و ليس من يملك مصير نفسه كمن يساق بالقهر إلى ذلك المصير ، و فيه انفتاح إلى أفق المستقبل ، و اندفاع للتحرك نحو الكمال في ذلك المستقبل ، و فيه ترتيب الثواب العظيم على الجهاد الموفق في الامتثال للأوامر و النواهي وهو مظهر عظيم للتكريم الإلهي "[2].

التكريم بنعمة الخلود في الجنة :

إذا كانت الشريعة بكل قوانينها فيها تكريم للإنسان ، فإن هذا التكريم إذا عرف الإنسان قيمته والتزم بضوابطه فإنه يؤدي به إلى أعظم مظاهر

التكريم على الإطلاق وهو الخلود في الجنة : يقول _ تبارك وتعالى : ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نحنخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٌّ[1] والخلود في الجنة أعلى مراتب تكريم الإنسان لأن الشيء الحقير هو الذي ينتهي إلى الفناء . " إن امتداد الحياة إلى ما بعد الموت شرف خص به الإنسان دون سائر الموجودات الكونية ، وهو شرف يعكس ما أراد الله _ تعالى _ له من تكريم ، فانتفاء العدم في حق الإنسان هو في ذاته تكريم له ، لما في العدم من النقص وما في الوجود من الكمال ، ثم إنه دافع لا يضاهيه دافع الى الامتثال المادي باستثمار الكون والروحي بتحصيل الفضيلة فالإيمان بالخلود يفتح أبواب الأمل ويسد أبواب اليأس والقنوط ".[2]

مظاهر انتهاك الكرامة الإنسانية

الواقع الذي نعيشه يوحي بكل تفاصيله أن التكريم الإلهي للإنسان قد انتهك بواسطة الإنسان الذي أودع فيه الله أسرار القوة ، فبدلا من توظيفها لعمارة الأرض وظفها للانحدار بالكرامة أسفل سافلين ، وأي إهانة فردية فهي اعتداء على الجميعُ ﴿ مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يجَّ[3]، لأن الأيام تتداول بين الناس ، فإذا أهنت كرامة غيري أكون أعلنت السماح لغيري بإهانة كرامتي في يوم ما ،لأن الكرامة تثأر لنفسها وبشتى الطرق .وفتحت المجال لفوضى الاعتداءات ،ولعل من أهم مظاهر انتهاك الكرامة ما يلي :

_ انتهاك كرامة الحرية باسم الحرية : فقد أعطى الله _ تبارك وتعالى _ للإنسان الحرية ليعيش عزيزا مكرما ، فانتهكت هذه الحرية بمصادرتها من

قبل حرية الآخرين المتوحشة التي لا تضبطها ضوابط الشرع ، وبما يعود عليها وعلى الإنسانية بالذل والهوان فعلى المستوى الذاتي، تصرف الإنسان في ذاته بما ينحط بها ،كالشذوذ والزواج المثلي والغرق في أحضان المخدرات والإدمان على الخمر وأنواع المسكرات التي تتلف النفس و العقل الذي هو أساس الكرامة والاختيار ، والتصرف المطلق بالجسد و تسليع الإنسان وتوسيله...

_**انتهاك كرامة التسخير باسم التسخير** : إذ أباح الإنسان لنفسه حين وظف الكون وأحكم السيطرة عليه أن يهين كرامة الآخرين بكل الطرق ، فسيطر القوي على مكامن القوة التي سخرها الله للجميع ، فاستحوذ عليها ليذل الضعفاء بالفقر والتجويع وجميع صور الاستعباد . ..

التكريم بالتسخير :

يعطينا القران الكريم رؤية واضحة على أن كل ما في الكون إنما وجد من أجل الانسان لتحقيق الخلافة التي وجد من أجلها فحين نقرأ القرآن نجد الخطاب القرآني دائما يستعمل كاف الخطاب ولام التعليل لتأكيد مخلوقية الكون وما فيه من أجل الإنسان ومن الك قوله 8تبارك وتعالى:

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ) [1]

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[2]

علاقة الانسان بالكون في العقيدة الإسلامية والتكريم بالتسخير

من خلال التفاسير يمكننا استخراج العلاقة بين الانسان والكون في العقيدة الإسلامية ، إذ تعرضت التفاسير التحليلية للآيات القرآنية كلمة كلمة ، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تتحدث عن الانسان والكون وعن العلاقة التي تربط بينهما، ومن المصادر التي تعرضت للموضوع كتاب : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني ، ومن المحدثين أبدع عبد المجيد النجار في كتابه : قيمة الانسان وفي مقال :ارتفاق الكون في التحضر الإسلامي في تحديد علاقة الانسان بالكون في العقيدة الإسلامية.

والحقيقة التي توصل اليها الباحثون المنصفون أنه لا يوجد دين وضعي أو دين سماوي تعرض للكون بطريقة القرآن المبدعة ، وقد جعل محمد المبارك وصف القرآن الكريم للكون وتفاصيل الطبيعة بهذا التوسع والإحاطة الماتعة دليل على صدق الرسول _صلى الله عليه وسلم _ فكيف يتسنى لرجل عاش في صحراء شبه الجزيرة العربية أن يتمكن من وصف الكون بهذه الطريقة الرائعة .

هناك حقائق كثيرة يقرها القرآن الكريم في حديثه عن علاقة الانسان بالكون:

1_ **مخلوقية الكون لله _ عز وجل _** فقد حدثنا القرآن الكريم في تفاصيل آياته أن هذا الكون مخلوق من خلق الله _ عزوجل _ وهذه العقيدة تخلص الانسان من الخوف من مظاهر الطبيعة ، والوقوع في عبادة أي جزء من

أجزائها ، وقد حدث هذا مع كثير من البشر الذين عبدوا النار ، والشمس والقمر ، والبقر ...فالكون يشترك مع الانسان في هذه الصفة إذ كلهما من خلق الله _تبارك وتعالى _

2 _**مقاصدية هذا الخلق** : هذا الكون لم يخلق عبثا ، وإنما أوجده الله _ تبارك وتعالى _ من أجل الإنسان ، وهذا واضح من الآيات القرآنية التي تتحدث دائما بصيغة الخطاب للإنسان ، إذ يفهم منها أن هذا الكون أعده الله _تبارك وتعالى ، من أجل الإنسان ، ليقوم بأداء المهمة التي وجد من أجلها في هذه الحياة الدنيا ، وبسبب التوافق الموجود بين الانسان والكون استمتج علماء العقيدة دليل العناية على وجود الله ، والذي يعتبر من أقوى الأدلة على وجود الله _ سبحانه _ والذي تؤيده نتائج العلم الحديث .
ويشترك الكون مع الانسان في وحدة الهدف ال\اي يتمثل في عبادة الله ، إلا أن الإنسان يرتقي بـه\اه العبادة ، لكن الكون يبقى على حالة دائمة .يقول تبارك وتعالى _(سَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ **وَإِنْ** مِنْ **شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) الإسراء/44.

_(يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات **كل قد علم صلاته وتسبيحه**)-النور /41.

التسخير المعرفي : وهو خلق الكون من أجل التأمل والوصول إلى معرفة الله _تبارك وتعال_ يقول _عز وجل _:

"(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) –فصلت / 53 ويقول : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) البقرة/ 164. ويقول: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ال عمران/ 190–*191*.

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)– فصلت/ 53

التسخير المادي : وهو استغلال ما في الكون من أجل تحقيق الوجود الانساني واستمراره ، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : *: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً*) البقرة/ 29. ثمّ يقول :(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) إبراهيم/ 32–33 ويقول : (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الجاثية/ 13. *(قُلْ* أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ

اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) فصلت/9_12، (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) الزخرف /10

ولما كان مافي الكون وجد من أجل الإنسان فإن الإنسان مدعو للارتفاق به وعدم الاعتداء ، وقد أعطانا النبي صورا واقعية للرفق في التعامل مع الكون ، والحنو عليه والتجاوب معه ، فعن جابر :" كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبي _ صلى الله عليه وسلم _ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر، وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ، حتى جاء النبي _صلى الله عليه وسلم _ فوضع يده عليه فسكن "_ البخاري ، وحين مر النبي _ صلر الله عليه وسلم على جبل أحد بالرغم مما أصاب المسلمين فيه من ابتلاء ، وقتل عمه حمزة به قال : " هذا جبل يحبنا ونحبه " البخاري .إن الكون مجال حياة الانسان أوجده الله _تبارك وتعالى _ من أجله ، وجعله ذلولا له ، لكن إذا أفسد فيه الانسان وخرج عن القوانين الالهيه انقلب هذا الكون ضده .

خلافة الإنسان في القرآن الكريم.

يعتبر التكريم الإلهي للإنسان الذي تحدثنا عنه سابقا نتيجة لاختيار الله _ عز وجل _ للإنسان لتحمل مسؤولية الخلافة ، وقد اختلفت تفسيرات العلماء المسلمين للخلافة وسنتحدث عن معانيها في نصوص القرآن الكريم ، ثم اختلا ف العلماء حول الموضوع

وردت مشتقات الخلافة في نصوف كثيرة من القرآن الكريم وبمعان متنوعة منها :

– خلف ضد قدام ، في قوله _ تعالى _ : (لهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) الرعد /11

–ضد تقدم وسلف، في قوله _ تعالى _ (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)يونس/91

– المتأخر لقصور منزلته في قوله تعالى : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) مريم / 59.

– خلف آخر فسد مسده ، يقال له خلف والخلفة في قوله _ تعالى _ (*وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ* شُكُورًا)الفرقان / 62

_ وخلف فلان فلانا قام بالأمر عنه إما معه أو بعده ، في قوله_ تعالى _:
(وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ) الزخرف /60

وقد وردت آيات كثيرة ربطت الخلافة بالأرض منها :

-(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) (البقرة / 30
-(هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) فاطر/39
-(ويستخلف ربي قوماً غيركم) هود/57

-(وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) الأنعام/165
والخلائف جمع خليفة ، أما خلفاء فجمع خليف[1]
-(وجعلناهم خلائف) يونس/73

-(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) الأعراف/69
-(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض)لأعراف/74

-(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض)النمل/62

-(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) النور/55

-(إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء) الأنعام/133

-(ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)النور/55.

-(قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض) الأعراف/129

-(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق)ص/26.

في معنى الخلافة وجواز إطلاق خليفة الله في الأرض على الانسان :

هذه أغلب الآيات التي ورد فيها لفظ الخلافة ومشتقاته والملاحظ في أغلبها أنها ربطت الخلافة بالأرض، إذ الأرض هي المسرح الذي يمارس عليه الإنسان هذه الوظيفة التي وجد من أجلها .ومن خلال المعاني اللغوية وورودها في الآيات استنتج العلماء معاني الخلافة .

فقال الأصفهاني : _"الخلافة نيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه ، وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض" .[1]

وذهب ابن عاشور إلى أن جعل الإنسان خليفة عن الله _تعبير مجازي وليس بحقيقة لأن الله _تعالى_ لم يكن حالا في الأرض ولا عاملا فيها العمل الذي أودعه في الإنسان وهو السلطنة على موجودات الأرض ، ولأن الله _تعالى _لم يترك عملا كان يعمله فوكله للإنسان ، بل التدبير الأعظم لم يزل لله _تعالى _ [2]

المعنى الثاني الوارد في الآيات : أن البشر يخلف بعضهم بعضا .

في جواز إطلاق خليفة الله :

فَصَّل ابن القيم رحمه الله المسألة في كتابه "مِفتاح دار السعادة فقال : " واحتج القائلون بجواز أن يقال: فلان خليفة الله في أرضه بقوله تعالى للملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} البقرة/30، وبقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} فاطر/39، وهذا خطاب لنوع الإنسان، وبقوله تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} النمل/62، وبقول موسى لقومه: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} الأعراف/129، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله مُمَكِّنٌ لكم في الأرض، ومستخلفكم

فيها فناظِرٌ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء"[1]. واحتجوا بقول الراعي يخاطب أبا بكر رضي الله عنه:

َ خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إِنَّا مَعْشَرٌ *** حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلاَ

عُرْبٌ نَرَى للهِ فِي أَمْوَالِنَا *** حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلاً تَنْزِيلاَ .

وَمَنَعَتْ طَائفة هذا الإطلاق، وقالت لا يقال لأحد إنه خليفة الله؛ فإن الخليفة إنما يكون عمن يغيب، ويَخْلُفُه غَيْرُه، والله تعالى شاهدٌ غيرُ غائب، قريبٌ غير بعيد، راءٍ وسامع؛ فمحال أن يَخْلُفَهُ غيرُهُ؛ بل هو سبحانه الذي يَخْلُف عبده المؤمن، فيكون خليفته؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الدجال: "إنْ يَخرُج وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه دونكم، وإن يَخرُج ولست فيكم فامرؤ حَجِيجُ نَفْسِه، والله خليفتي على كُلِّ مؤمن" (والحديث في الصحيح)[2].

وذهب ابن تيمية إلى عدم الجواز للحجج نفسها ويرى ابن القيم إن أريد بالإضافة إلى الله : أنه خليفة عنه ، فالصواب قول الطائفة المانعة فيها. وإن أريد بالإضافة : أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله ، فهذا لا يمتنع فيه الإضافة ، وحقيقتها : خليفة الله الذي جعله الله خلفا عن غيره ، وذهب ابن تيمية إلى عدم الجواز للحجج نفسها . وهذه الحجج فيها نظر للأن الذين أجازوا لم يجيزوها على أساس موت المستخلف، أو غيبته، أو عجزه ، وإنما أجازوها على معنى آخر، وهوما أشار إليه الراغب، من أن

الخلافة -كما تكون بعد المستخلف :لغيبته، أو موته، أو لعجزه. -كذلك تكون معه :لتشريف المستخلف

وقد انتصر القرضاوي للرأي الذي يجيز ذلك . ، لأنه يحقق مقاصد حسنة يقول : " الخلافة عن الله توحي بأمور أربعة ليس منها ولا في واحد منها ضرر ولا خطر على الإنسان، بل فيها الخير الكثير لمن تدبرها:

أولها: أن الإنسان ليس مطلق التصرف في هذا الكون يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يسأل عما يفعل، ولا يحاسب على ما يحكم، إنما هو مخلوق مستخلف من خالق الكون وخالقه، موكل بأن يعمره ويتصرف فيه وفق أمر موكله وإرشاد مستخلفه.

ثانيها: أن الله قد أعطاه شرفًا عظيمًا بهذه المنزلة التي خصه بها دون سائر المخلوقات العلوية والسفلية. شرفًا غبطته عليه الملائكة المقربون وعبر عنه الإمام الرازي بقوله: إن الله جعل آدم خليفة له... ومعلوم أن أعلى الناس منصبًا عند الملك من كان قائمًا مقامه في الولاية والتصرف وكان خليفة له... وهذا متأكد بقوله تعالى: (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض...) (لقمان/ 20)، ثم أكد هذا التعميم بقوله: (خلق لكم ما في الأرض جميعا) (البقرة/ 29)، فبلغ آدم في منصب الخلافة إلى أعلى الدرجات، فالدنيا خلقت متعة لبقائه، والآخرة مملكة لجزائه، وصارت الشياطين ملعونين بسبب التكبر عليه، والجن رعيته، والملائكة في طاعته وسجوده والتواضع له، ثم صار بعضهم حافظين له ولذريته، وبعضهم منزلين لرزقه، وبعضهم مستغفرين له.

ثالثها: أن هذا الإنسان المستخلف لا بد أن يكون قد أعطي من الطاقات والمواهب وهيئ له من الأسباب والمعينات والآلات ما يمكنه من القيام بحق هذه الخلافة، وإلا كان استخلافه في هذه الأرض عبثًا يتنزه عنه الإله العليم الحكيم.

ولعلنا نلمح من هذه المواهب موهبة العلم والمعرفة التي برزت في تعلم آدم للأسماء كلها بتعليم الله عز وجل.

كما نجد الوسائل المعينة على مهمة الخلافة في مثل قوله تعالى في الآية السابقة لقصة استخلاف آدم: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا) (البقرة/ 29)، أو في آيات أخرى مثل (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه). (الجاثية/ 13.

رابعها: أن الإنسان الذي لا يقوم بحق هذه الخلافة ولا يرعى أمانتها، لا يستحق أن يحظى بشرف اسمها، وحمل عنوانها، ووجب أن يسحب منه لقب " خليفة الله " فخلفاء الله هم المؤمنون الصادقون المذكورون في قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء/105.[1]

وبناء على الجواز عرف عبد المجيد النجار الخلافة في كتابه : خلافة الانسان بين الوحي والعقل بقوله : " إن وظيفة الخلافة التي جعلت غاية للوجود الانساني تعني بما تقدم من المعاني ، مباشرة الإنسان للكون بالروح والجسم : اعتبارا به واستثمارا لمنافعه وخيراته ، كل ذلك في بعدها الفردي

والجماعي وترقية لها في وجهتها إلى الله _تعالى _ عبر منهاج العبادة ائتمارا بما أمر وانتهاء عما نهى "[1]

فالخلافة يتحقق فيها معنى العبادة والعمارة متلازمين ولذلك ربط علماء المسلمين بين الدين والسلطان ، فالخلافة الحقيقية هي التي تحمي الدنيا بتطبيق قوانين الدين . وقد ذهب بعض الباحثين إلى تقسيم الخلافة إلى خلافة كونية وخلافة شرعية .

_الخلافة : كونية يشترك فيها الناس جميعا.

_الخلافة: شرعية خاصة بالمؤمنين وحدهم.

والخلافة الشرعية : هي التي ينبغي أن تمسك بزمام الخلافة الكونية لتضبط حركتها ولتوجهها إلى طريق الخير ، وذلك بما تملكه من هدى الله وتعاليم الأنبياء . فلو ترك الأمر للخلافة الكونية وحدها ، لاتَّبع الناس أهواءهم ، ولتنكبوا طريق الحق ، ولظهر الفساد في البر والبحر ، ولقتل الناس بعضهم بعضاً ، وهذا ماكانت تخشاه الملائكة حينما قالوا :(**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**)غير أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما لا تعلمه الملائكة (**قال إني أعلم ما لا تعلمون**) ، فلقد خلق السموات والأرض بالحق ، وأنزل الكتاب بالحق ، وعلى الناس أن يفيئوا إلى هذا الحق الذي أنزله الله تعالى حتى لا تفسد الأرض [2]

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص .

– الأسمر ، أحمد رجب ،النبي المربي ، عمان ، الأردن : دار الفرقان ط1_ 1422هـ2001م.

– الأصفهاني ، الراغب ،معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق ، مراد مرعشلي ، دار الكاتب العربي.

– البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار: طوق النجاة، ط 1_1422هـ.

– الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت :دار الغرب الإسلامي، 1998م.

– ابن حنبل، ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، إشراف، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1_1421هـ2001م.

– الخربوطلي ، علي حسني ،الإسلام وأهل الذمة ، القاهرة : المجلس الإسلامي الأعلى 1389هـ1979م

– الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحيح ، بيروت : المكتبة العصرية ،**ط:5 _ 1420هـ / 1999م** .

– الريسوني ، أحمد، ومحمد الزحيلي ، محمد عثمان شبير ، حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة ، الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 2012م.

– أبو زهرة، محمد ،العلاقات الدولية في الإسلام . نصر : دار الفكر العربي ، 1415هـ/ 1995م_.

– ابـن عاشـور ، محمـد الطـاهر، التحريـر والتنـوير ،تـونس: دار سـحنون للنشر والتوزيع .
– عبد الرحمان ،طه ، سؤال العمل بحث في الأصول العملية في الفكر والعمل ،الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي الطبعة 1_ 2012م.
– عمـارة ، محمـد ، حقـائق وشـبهات حـول السـماحة الإسـلامية وحقـوق الإنسـان ، القـاهرة ، الاسـكندرية : دار السـلام للطباعـة والنشـر والتوزيـع ،ط1_1431هـ2012م .
– الغزالـي ، محمـد ،حقـوق الإنسـان بـين تعـاليم الإسـلام وإعـلان الأمـم المتحدة، برج الكيفان : دار الهناء.
– القرطبـي ، محمـد بـن أحمـد بـن أبـي بكـر، الجـامع لأحكـام القرآن ،دار الفكر.
– قطـب ، سـيد ، فـي ظـلال القـرآن ،بيـروت ، القـاهرة :دار الشـروق ،ط1_1398هـ1978م.
– مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
– ابن منظور ، محمد بن مكرم، لسان العرب: بيروت : دار صادر ، ط3 _1414هـ .
– الميداني ، عبد الرحمان حسن حبنكة ، كواشف زيوف
– النجـار ، عبـد المجيـد ، قيمـة الإنسـان ، الربـاط ، دار الزيتونـة للنشـر ط1_1414هـ 1996م.

– النمر ،السيد حسن العبد الله ، ورقة عمل بعنوان : "قيمة الكرامة بين الفهم البشري وبصائر الوحي" مقدمة إلى المؤتمر الدولي بعنوان " قيمة الكرامة وتجلياتها الإنسانية"https://wamazati.blogspot.com:

– هويدي ، فهمي ، مواطنون لا ذميون ،نصر : دار الشروق ط3_1420هـ1999م.

–